كما تقوله وقرئ بفتح التاء على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم إياك
وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني
آدم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون
القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت
ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا وعظوا لا يتعظون وإذا رأوا آية
انشقاق القمر يستسخرون أي يستهزئون وقيل يستدعي بعضهم بعضا إلى أن يسخر وقالوا
إن هذا إلا سحر مبين أي بين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون
قل نعم وأنتم داخرون أي صاغرون فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة واحدة وهي نفخة
البعث فإذا هم ينظرون يعني أحياء وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب
والجزاء هذا يوم الفصل أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون أي في
الدنيا احشروا أي اجمعوا الذين ظلموا أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وأزواجهم
أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنى
مع أهل الزنى وقيل أزواجهم أي قرناؤهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة
وقيل أزواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله أي في الدنيا يعني الأصنام
والطواغيت وقيل إبليس وجنوده فاهدوهم إلى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم
إلى النار وقفوهم أي احبسوهم إنهم مسؤولون قال ابن عباس لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط
للحساب قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروي عنه عن لا إله إلا الله
وروي عن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة
حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه
وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية وعن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي
وله عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا إلى شيء إلا كان
موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وإن دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم إنهم مسؤولون
ما لكم لا تناصرون أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم
بعضا وهذا جواب لأبي جهل حين قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل
هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم
أذلاء منقادون لا حيلة لهم وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والأتباع يتساءلون
يعني يتخاصمون قالوا يعني الأتباع للرؤساء إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل
الدين فتضلوننا وتروننا أن الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم أن الدين
الذي يدعونهم إليه هو الحق والمعنى إنكم كنتم تحلفون فنثق بأيمانكم وقيل
عن اليمين أي عن القوة والقدرة والقول الأول أصح وما كان لنا عليكم من سلطان أي من
قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين أي ضالين فحق علينا أي
وجب علينا جميعا قول ربنا يعني الضال والمضل جميعا في النار إنا لذائقون فأغويناكم
أي فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه إنا كنا غاوين أي ضالين
قال الله تعالى فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤساء والأتباع

إنا كذلك

إنا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين الله
تعالى إنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى إنهم كانوا
إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون
منها ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم قال الله ردا عليهم بل جاء بالحق وصدق المرسلين يعني أنه أتى بما أتى به المرسلون
قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون
إلا ما كنتم تعملون أي في الدنيا من الشرك والتكذيب إلا أي لكن وهو استثناء منقطع
عباد الله المخلصين أي الموحدين أولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا
وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل إنه معلوم الصفة من طيب طعم ورائحة ولذة
وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي
الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل أرزاق
أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسامهم
خلقت للأبد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم إن لهم مع ذلك الإكرام
والتعظيم فقال وهم مكرمون أي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات
النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم
فقال يطاف عليهم بكأس من معين كل إناء فيه شراب يسمى كأسا وإذا
لم يكن فيه شراب فهو إناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر وكأس
شربت على لذة ومعنى معين أي من خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون بيضاء
أي خمر الجنة أشد بياضا من اللبن لذة أي لذيذة للشاربين لا فيها غول
أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها وقيل وجع بطن
ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد
منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء وإنها
كريهة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون أي لا تغلبهم
على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال وعندهم
قاصرات الطرف أي حابسات الأعين غاضات الأجفان قصرن أعينهن على أزواجهن
فلا ينظرن إلى غيرهم عين أي حسان الأعين عظامها كأنهن بيض مكنون
أي مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكنه بالريش من الريح والغبار
فيكون لونها أبيض في صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء
مشربة صفرة والعرب تشبه النساء ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدور
قوله عز وجل فأقبل بعضهم على بعض يعني أهل الجنة في الجنة يتساءلون أي يسأل
بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قائل منهم أي من أهل الجنة إني كان لي قرين
في الدنيا ينكر البعث وقيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الإنس قيل كانا أخوين
وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما